رواية الحسناء

زنوبيا

ملكة الشرق العظيمة

وهي مجموعة رسائل من لونجينوس هاليوس يزو من تدمر الى صديقه مارکوس کورنيوس في روما
تاليف الكاتب الانكليزي وليم وير - تعريب اسكندر افندي رهوري
معربة خاصة لهذه المجلة

الرسالة الاولى

اكتب اليك هذه الرسالة من مدينة الشرق العظيمة — تدمر . وانا لا اصدق اني انا الذي يكتب لانني اذا نظرت الى عمل الطبيعة او الى عمل الانسان اجد كل شيء يختلف اختلافاً كبيراً عما كنت اراه في الغرب حتى صرت من عظم هذا الاختلاف بين البلادين احسب نفسي في حلم عميق فاتح عيني فارى اني في يقظة انظر اشياء حقيقية واني انا انا صديقك يزو الذي كان يسكن في تلة سيليان والذي هو الان تحت سماء تدمر الحارة . ومع كل العظمة والفخامة والمسرة التي تحيط بي في هذه المدينة اجد نفسي راغباً في الرجوع الى بلدي ما زلت احبها واغار عليها . اريد الرجوع لبلدي روما العظيمة واجلس بقرب صديقي كورنيوس ابا حثه ويباحثني عن اعمال وسياسة الامبراطور اورليان الكبير كما كنا نعمل في سالف الايام

ولكن سبب كتابتي هذه الرسالة هو لاني بوعدي لك فاخبرك عما حصل لي بعد فراقك وعما اصابني من خيبة ونجاح في رحلتي عن روما المحبوبة . اواه ! ابتهما البشرية ! يا لك من ظالمة . لماذا جعلت الامة كاس الحياة مرة ؟ لماذا جعلتني وحيداً في

هذه الحياة المجرم هذه الكاس؟ ولكن ما لي ولهذا أيها الصديق . اعذرني فاني في بعض الاوقات يغلبني شعوري فيفقدني الرشد . اعذرني لانك اعلم بحالتي التي كلها حزن وشقا . . . . لغاية الان لم اعلمك شيئاً عن سفري ووصولي فاسمع لابتدي .

بعد ان غبت عن نظري وانت واقف على الشاطئ تبكي وجاوس الصغير على يدك ولوسيليا العزيزة مستندة الى ذراعك . بعد ان اصبحت غير قادر على رؤياك مع صعودي لاعلى محل في المركب لارى تلويح يديك ولارسل لك آخر علامة من علامات الود والاخلاص . بعد كل ذلك اجتهدت بان لا افكر بك على قدر الامكان فاخذت احول افكاري وانظر لنهر التيبر كاني اراه لاول مرة . ثم من كثرة المراكب والسفن التي على وجهه ومن اصوات البحارة وهم يصرخون الى رفاقهم . ومن تصادم القوارب . ومن زئير الوحوش الواردة من اسيا وافريقيا للملاعب . ومن اصوات الالوف من البشر المختلفي اللغات . كل هذا جعلني في عالم جديد . وكل افكاري عن الدنيا وما فيها — حتى عنك انت — انسحبت من مخيلتي فكان منظر غريب عظيم جعلني افكر بعظمة روما وما لها من القوة . هذا مراكب قطعت البحار لتاتي بما اشعلت ايدي البشر لتضعها على اقدام عاصمة الدنيا وربيبتها . وبين كل هذه الحركة التي كلها تجارية كنت ارى الرجال تحيطهم المسرة والحبور وهم يشقون النهر بمراكبهم تحت اشعة شمس الصباح الصيفية الجميلة . وكنت اسمع اصوات الموسيقى اللذيذة تصعد من مراكب اولئك الرجال ويعقبها اصوات ضحك شبان وشابات المدينة ، وهم في غبطة . وبما ابتعدنا عن المدينة عدة اميال نازلين مع النهر لجهة المصب صرت اتطلع لضفته الاولى ثم الثانية علي ارى منزلك الذي في الضاحية حيث كن يجتمع اصدقاؤنا ويمضون ايامهم بسرور . وبعد قليل من الوقت رأيت منزلك يظهر شيئاً فشيئاً حتى ظهر تماماً فدمعت عيناي لذكرى ايام قضيناها . ومن شدة تاثير هذا المنظر علي غادرت محل وقوفي وانخلعت بالسافرين واشعلت نفسي بالنظر اليهم . وما جلست حتى جاءني الربان وسالني عما اذا كنت انا الذي طلب النزول في مدينة آتيكا فقلت — لا لست انا . وهل تمرون على هذه المدينة . افلن هذا ليس طريقاً مختصراً لسوريا .) فاجاب الرجل بصوته الاجش

— خير لنا ان ناخذ الطريق الطويل من ان نتعرض لخطر سيسيليا . والرومان يخاف على شحنه كثيراً فيفضل السفر في البحر الواسع من المرور من ممر مخطر ولو كان بقرب المسافة ومع ذلك سفرنا مع هبوب الريح يجعلنا ان نترك نهر التيبر ونصل لشواطئ افريقيا بسرعة . . . . بالحقيقة . هاهنا الخليط من الامم ! ترى يهود اوروبا وبين وسوريين ويونان وجنود

وسواح وتجار وبائعين واذا صدق ظني ومسيحيين ايضاً . واظنك احد الشرفاء فتكلم ! واستغرب كيف تسافر في سفينة كهذه ولا تسافر بسفينة خاصة بالمسافرين !

— بدون شك احسن لي . ولكن مهمتي تطلب الاسراع فما قدرت على انتظار مركب آخر ومع ذلك فمن طبعي حب الاختلاط بمن هم اخوان لي من بني البشر فازداد معرفة لنفسي بدرسي لاحوالهم . ولهذا انا مسرور لوجودي مع قوم هذا شانهم .

فاجاب الرجل مستهزئاً — اذا درس الانسان انواع الاسماك او الحيوانات فانه يستفيد منها فالاسماك يأكلها والحيوانات يستخدمها ولكن ماذا يستفيد من درس الانسان لا فائدة الانسان الا انه يدفن تحت الثرى فيسمد الارض ويخصبها . الملوك رجال عظام ولكننا مع ذلك نرى عظامهم تسحم الهواء التي بنائتها . كلاديوس كان رجلاً طيباً ولكن الالهة حسدتنا عليه فاخذته منا فمات

ولكني اعتقد ان الحالة الحاضرة ظاهرة وان السعادة التي ابتدأنا في السير فيها تحت حكم ذلك الحاكم السامي ستدوم ايضاً تحت حكم الرجل الذي عينه قبل مماته ليرث رايتنا التي خفقت على العالم . ونحن الآن ابتدأنا نرى نجاح هذا الرجل في الحكم وفوزه ....

اني أحسن الظن بالانسان اكثر منك واني اعتقد بانه سيقوم منا رجال يعرفون ان في امبراطورة الرومان قوة لعمل الخير كالآلهة — فهم بركة للانسان . فاوريليان ليس فقط سيحفظ عظمة الامبراطورية ولكن سيقربها بالسعادة والسلام بقدر الامكان

فصرخ الربان عند سماعه كلامي هذا وقال — اليس هو ابن فلاح ؟ اليست الخيمة منزله والقنص شأنه . فهذه القوة هي التي ستبطره . تجنبه . اسمع لقول بحار ولا تنسه . اوريليان سيذهب سعيداً دور ماكسمين وليس دور انطونين او سبتيموس او المرحوم الطيب الذكر كلاديوس .... لما يرى نفسه على ظهر جواده نرى ما يفعل . انه لما يشفي غليله من سفك دماء البرابرة يحول نظره لسفك دمائنا نحن الرومان . فياويلنا . الله يكون بعوننا !

ولما وصلنا لهذه النقطة قطع حديثنا اصوات آتية من مقدم السفينة حيث رأيت جمعاً من المسافرين منهمكين في حديث طويل حاد . ثم ازدادت الاصوات حدة وغضباً وارتفع صوت ربان السفينة بأمرهم بصوته الأجش بعدم مخالفة قوانين السفن التي لا تسمح بالتخاصم والتشاحن . فسكتت شمل الجماعة هنا وهناك . ثم تقدم نحوي رجل منهم لا اعرف كيف اصفه لك ولكن ارى نفسي مجبوراً على وصفه . اظنك هنا تقول لماذا انا مجبور على وصفه او وصف اشخاص لا شأن لهم . ولكن اقول لك يا عزيزي كورنيوس بأني ارى

نفسي مدفوعاً لأكتب لك عن كل شخص ساعدني او كان له نصيب في رحلتي . فهذا هو الامر مع هذا الرجل ومع رجل آخر سأعرفك به قريباً

قلت ان القوم تفرقوا وواحداً منهم اتى نحوي وجلس بقربي و بلا شك كان رومانياً من المدينة لان هيئته لا تدل الا على ذلك

ولكن مع علامة هذا الرجل وشممه الروماني كنت ارى فيه شيئاً من اللطف واللين ما رأيتهما في احد غيره كل عمري . وكان يلوح من عينيه اشغال البال والحزن العميق مما جعله اكثر اعتباراً ورزانة . وكانت عيناه كعيني رجل كله كآبة ومحبة وطهارة روحية فائقة . فظهر لي كأنه احد كهنتنا ولكن اكثر قوة وجمالاً . كنت اقصد اولاً مخاطبته ولكن اصفراره ووجهه المكفهر منعاني عن ذلك وما كنت اعرف ما اعمل لأتغلب على عدم ثقتي بنفسي امام هذا الرجل الكبير ولكن الصعوبة زالت بقدوم رجل ثالث وهو احد الاسرائيليين الذين يسافرون من مكان الى آخر و يزورون هذه المدينة وتلك ساكبين مع اقوام كثيرين ولكن دون ان يختلطوا بهم . وكان هذا اليهودي الثالث منحني الظهر كثيراً بسبب الحمل الذي كان يحمله على كتفه من البضائع المختلفة الالوان والاجناس طلباً لبيع بعض منها للمسافرين . وما اقترب مني ووضع حمله عنه حتى صرخ منغماً

— انا اسحاق الاسرائيلي انا هو اسحاق الذي من روما . لكنه ينتمي للعالم ايضاً فهو فرد منه . اني على طريقي لقرطجنة وسوريا ومعي من الحلي والحال ما تريده كل سيدة حتى وكل سيد . فيا سيدي النبيل دعني اعرض عليك هذه المرآة المعدنية الحسنة . هل رايت احسن منها . كلا ! اظنك تريد خاتماً . لا باس انظر لهذه الانواع التي من المعدن والذهب . للافراح ولغيرها . عندي اباريز ايضاً . هل نظرت اجمل منها . وها ايضاً صابون . وعطورات ودهون ودبابيس شعر . كل شيء عندي . اظن تريد شيئاً نافعاً . ها تعلين . انظر لصنعها . انها جميلة الكسم واللون ايضاً . لا تطلب الا ارجل اطيفة لتلبسها . ليس كذلك ..... ولكن ارى بكل اسف انك لا تقدر ان اغريك بشيء من هذه لتشتري

— كيف هذا ولسانك السريع الكلام والحركة لم يدع لي مجالاً للرد عليك . اظن قد انتهت اصواتك المزعجة . فارني هذه الحوائج واقنع هذه الصندوقة اذ كنت تريد واني اشكرك لانك تلهيني قليلاً) فاجابني اليهودي الغرثار — انظر . انظر الى صديقي هذا كيف يصغي اليك و يسمعك . فهو يحتقر بضائعي وصراخي هذا . اما من جهة التلهي فهو يعتقد بان الانسان لا يكون كسولاً اذا كان يخاطب نفسه و يناجيها . اي اذا كان يفكر .

فرد عليه الرجل المشار اليه — ما قلته اخيراً هو حق فالانسان لا يحتاج لمن يليه اذا كانت له قوة التفكير . ولكن عن شغلك فلا اعارضك بهاتما لا اريد ان اشتري شيئاً منك .

— هاها! لا تريد ان تشتري شيئاً . ثق باسحاق فعنده كل شيء يعجب كل انسان و يجعله يرغب في الشراء

وبينما كان يتكلم وضع صندوق الخواتم بين يدي لاراها ثم مد يده في قفة كبيرة واخرج بفرح رقاً من الجلد وقال — الآن افتح عينك ايها الناصري وانظر

وما فتح جزءاً من الرق ووقعت عين الروماني عليه حتى لمع وجهه كأن الاهاً حل فيه . وقال وهو حامل السفر باحترام — لقد غلبتني ايها اليهودي . اني اشكرك كثيراً . ها كيس دراهمي خذ قدر ما تريد منه فقد صرت زبوناً لك

— لا . لا . انتظر . هذا الذي بيدك باللغة اليونانية ولكن عندي سفر آخر باللغة اللاتينية . اشتري الاثنين . الثمن ليس بكثير) . فاجابه المسيحي — ان مكرك يساوي هذا الجزاء بارجل . وما قلته حسن واني اتبع مشورتك بارادتي . فخذ ما تريده ولف لي هذه الكتب بحرص .) فختم اسحاق وهو يحزم الكتب وقال لنفسه : لم ابع مرة مثل هذه البيعة ! ولكن ماذا يهمني اذا كنت ابتز مال الناس لاجل رفع اسوار اورشليم ؟ بلا شك انه حسن ان اجعل الروماني الظالم والمسيحي المرطوقي يبنيان اسوار اورشليم من حيث لا يدريان . ثم وجه الكلام لي وقال — والآن سيدي النبيل ماذا انتقيت لك او لسيدتي زوجتك ؟ ها صندوقة ثانية يوافقك اختراعها وصنعها . لكنها تناسب ذوق سكان تدمر فاني لهم انا احملها

— نعم هذا ما اريده . هذا الخاتم الذي عليه رأس زنوبيا والذي بحثت عنه بدون فائدة في روما . سأشتريه منك ولكن ثمنه قدر ما يكون على شرط ان يؤكد لي انه يشبه رأس هذه الملكة العظيمة . صنع من هو ؟ — بحق وقوتي امامك الآن كأحد ابناء الذي ابراهيم انها صنع صائغ يوناني يسكن بقرب هيكل البخت فهو الذي حفره نقلاً عن صورة رسمها اخوه الذي يقطن في مدينة تدمر . هذان الصائغان هما احسن الصياغ في الدنيا . وانا نفسي الذي حملت الرسم فاستلمته من دمتريوس الصائغ وسلمته لاخيه في روما . اما امر مشابهته للملكة فانا اشهد بذلك لاني رأيتها . فجمالها العجيب يرى هنا بوضوح . ولكن انظر لهذا ايضاً ها رأس اوديناتوس زوج الملكة . وهذا الخاتم صنع بذات الاعتناء وبذات يد الصائغ المذكور . لم يظهر مثلهما لا في تدمر حتى ولا في روما .

فيا لسعدك يا اسحاق . قف . ضعها في اصبعك وانظر لهذا الجمال . ملك وملكة ! ما احلاهما . هكذا كانا اذ كان اوديناوس حيًا . فكانا زوجين شريفين . حتى الآن ما زالت الملكة تبكي عليه وتندبه

— ايها اليهودي اعتقاداً بكلامك اشتريها مع انك لست بذي صيت بعيد ولكن الصدق يلوح على وجهك فانا اصدقك

فقال وهو يأخذ مني الدراهم متأثراً — نعم التعيس والضعيف ليس له صيت بعيد . فاليهودي الآن ليس الا دودة تلوى تحت قدم الروماني المتكبر . مرات كثيرة كما تعلم قام بوجه مستعبده وذاق شيئاً من حلاوة الاخذ بالثأر . دعني اذكرك بمذابح سوريا ومصر وسيرين في ايام تراجان فلتحذر روما ! نعم فلتحذر مع اننا قليل عديدنا ولكن سيأتي يوم فيه يعد صهيون يملأ الارض نوراً وبهاء . سيأتي المسيح الخلص الذي امامه امبراطور روما الشديد البأس يرتجف رهبة واحتراماً . هذا ما اقوله . فشكراً لأورليانس العظيم الذي جعل حتى ان ابراهيم الحقير يعبر عن افكاره بحرية ولا يقطع رأسه . . . .) ثم تركني وجعل يصرخ بنغم — هنا اسحاق الشيخ — من يريد ان يشتري منه — عنده خواتم — ودبابيس — واعواس — من يشتري . من يشتري ؟

وقد رأيت في لمعان عينيه وصوته المتغير حزناً وحدة وهو يتكلم عن اولاد بلاده . جعلني اشعر مع اولئك القوم الذين لا اعرف عنهم شيئاً ولا عاشرت منهم احداً . واحببت لو كان يطيل حديثه معي ولكنه تركني وذهب .

وسأخبرك اشياء كثيرة عنه لما اقابلك لأني رأيته غير مرة في المركب بعد هذه الحادثة وخدمني خدمات لا انساها له ما حييت

وما تركنا اسحاق حتى وجدنا فرصة مناسبة لفتح باب المحادثة مع الرجل الغير الذي بقربي والذي اشرت اليه سابقاً . فقلت له .

الشباب والجمال

سأل صحافي اميركي ممثلة جميلة من المشهورات بالفن عما استعملته لحفظ شبابها وصيانة جمالها . فاجابت — يحافظ على الشباب ويصان الجمال بالابتعاد عن المكدرات وعدم جعل القلب عرضة للتأثرات وبتعمد اسباب السرور ودواعي البهجة وبتكثير اكل البرتقال وتقليل الطعام كلما تقدم الانسان في العمر